التربية الخاصة
نماذج من النشاطات وشيء
من الذكريات

أ.د. ناصر بن علي الموسى

تمهيد

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل التوفيق حليف قيادتنا الحكيمة في اختيار الكفاءات القادرة على خدمة الوطن والمواطن، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والزمان المناسب.

وقد كان هذا دأبها منذ تأسيس هذا الكيان العظيم على يد البطل الموحد، الرائد المجدد، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - طيب الله ثراه - وحتى عهدنا الزاهر، عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود يحفظهما الله.

من منطلق أن الناس شهود الله في أرضه، وبحكم عملي تحت قيادة الدكتور محمد ابن أحمد الرشيد تسع سنين متواصلة، فإنني أستميح القارئ العزيز عذراً لأتحدث قليلاً عما أعرفه عن هذا الرجل، ولكن كيف؟ ومن أين أبدأ حديثي؟ هل أتحدث عن حب أبي أحمد وإخلاصه وتفانيه في سبيل خدمة دينه ومليكه؟ أم عن افتخاره واعتزازه بانتمائه

مستشار شؤون التعليم، والمشرف العام على التربية الخاصة بوزارة التربية والتعليم سابقاً.

إلــى قيادتــه وأمته ووطنه؟ أم عن فكره التربوي الأصيــل؟ أم عن القيم النبيلة، والمعاني السامية، والمبادئ العظيمة، والأفكار النيرة، والرؤى الواضحة، والتطلعات الكبيرة التي جاء بها إلى الوزارة، وجسد كثيراً منها في شعارات كان يرددها، أهمها المقولة الشهيرة: «وراء كل أمة عظيمة، تربية عظيمة»، وكنت أداعبه أحياناً فأقول: «ووراء كل تربية عظيمة، تربيــة خاصة عظيمة»، أم عن إيجاده بيئة عمل تسود فيها المحبة والمودة والإخاء، وروح الفريــق الواحد، والعمل الجماعي، والــرأي المشترك، والصراحــة والشفافية، واحترام مرؤوسيــه مع أسلوب محاسبــي متحضر، أم عن تواصله المستمــر مع زملائه من خلال أحاديثــه اليومية، واجتماعاته الأسبوعية والشهرية، ولقاءاتــه السنوية؟ أم عن إنسانيته وحبه لزملائه وحرصه على تحسين أوضاعهم مادياً ومعنوياً، وتتبع أحوالهم بحيث يكون أول المهنئين في الأفراح، وأول المواسين في الأتراح؟ أم عن المشروعات العملاقة التي لا يزال يعج بها الميدان التربوي حتى الآن، وأبرزها من وجهة نظري:

- دمج الأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام.
- اكتشاف الموهوبين ورعايتهم.
- المشروع الشامل لتطوير المناهج.
- المدارس الرائدة.
- دمج التقنية بالتعليم.
- التقويم الشامل.
- اختبار كفايات المعلمين.

وأستميــح أخــي القارئ العزيز عــذراً - مرة أخرى - لأركز بقيــة حديثي على همي الأكبر، وهاجسي الأعظم، وعشقي في الحياة، وهو التربية الخاصة التي انتقلت من أجلها مــن جامعة الملك سعود إلــى وزارة التربية والتعليم، عندما كلفنــي أبو أحمد بالإشراف عليهــا، ووعدني حينذاك - مثلما وعد الكثيرين غيــري ممن استقطبهم للعمل من خارج

الـوزارة، أو الذيـن كلفهم بمهام معينة من داخلها - بأن السماء هي حدودنا، الأمر الذي يحتم على كل واحد منا أن يقف وقفة صادقة مع نفسه، ويتساءل ما الذي تحقق من ذلك الوعد؟

ومع تسليمي التام بعدم قدرة الإنسان على تحقيق كل ما يريد، إلا أنني أسجل شهادة حـق هنا، مفادهـا أن أبا أحمد قد استطاع بكل صدق وأمانـة أن يترجم توجهات قيادتنا الحكيمة بإيلاء ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة كل العناية والرعاية والاهتمام والدعم غير المحدود إلى قفزات سوف يسجلها التاريخ التربوي بأحرف من نور.

وفيمـا يلي استعراض سريع لبعض نماذج من أوجه النشـاط، وشيء من الذكريات المرتبطة بمجال التربية الخاصة.

- قصة انتقالي من جامعة الملك سعود إلى وزارة المعارف كما كانت تسمى آنذاك:

فـي صباح يوم جميل من أيـام الأسبوع الأخير لشهر ذي القعـدة سنة ١٤١٦ هـ كنت جالسـاً في مكتبـي بقسم التربية الخاصة فـي كلية التربية بجامعـة الملك سعود، وكنت فـي سباق مع الزمن، أحـاول أن أنهي بعض المهمات الخاصـة بالقسم، حيث كانت مدة رئاستي الثانية للقسم تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكنت أشعر بشيء من الغبطة والسرور:

أولاً: لما تحقق للقسم من إنجازات كبيرة - والحمد لله -، كان من بينها الاستفادة من سياسة المملكـة العربية السعوديـة الحكيمة، التي تركز على الاستثمار فـي الإنسان باعتباره الثـروة الحقيقية للوطـن، فتم ابتعاث عدد كبير من الطـلاب والطالبات للدراسة في أعرق الجامعات العالمية، ليعودوا بعد ذلك مسلحين بسلاح العلم والمعرفة.

وثانياً: أنني كنت أتطلع إلى التفرغ للعمل الأكاديمي، حيث استحوذ العمل الإداري بالقسم علـى معظم وقتـي، فأنا مـن الذين يتبعـون أسلوب القيـادة بالقدوة، فـكان عبئي التدريسـي لا يقـل عـن عشرين ساعة في كثير مـن الأحيان، بالإضافـة إلى رئاسة القسم، ومزاولة أوجه النشاط التي تخدم الجامعة والمجتمع.

وتفرغي للعمل الأكاديمي الذي يستهويني كثيراً سوف يمكنني من تنفيذ الخطة التي كنت قد وضعتها لنفسي، والتي تتضمن إجراء العديد من البحوث والدراسات وتأليف أو ترجمة بعض الكتب التي تحتاجها مقررات الخطة الدراسية في القسم.

وبينما أنا منهمك في العمل لإكمال خطة مرحلة ماضية، ومستغرق في التفكير لتنفيذ خطة مرحلة قادمة هاتفني الزميل العزيز الدكتور سعود بن صالح المصيبيح، وكان وقتها يشغل منصب مدير عام الإعلام التربوي في الوزارة، وكان من المسميات الجديدة التي تم استحداثها آنذاك.

فظننت أنه سوف يطلب مني المشاركة مرة أخرى في برنامجه التليفزيوني الجيد (دعوة للحوار)، لكنه بدلاً من ذلك أبلغني بأن الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف يدعوني لزيارته في مكتبه بالوزارة، وفي أثناء زيارتي لأبي أحمد في مكتبه بالوزارة تجاذبنا أطراف الحديث، ثم ما لبث أن عرض عليَّ فكرة الإشراف على التعليم الخاص بالوزارة، كما كان يسمى آنذاك، فترددت كثيراً لسببين:

الأول: أنني كنت أحب العمل في الجامعة كثيراً، فقد هيأت لنا الدولة - يحفظها الله - في الجامعات السعودية بيئات تمكننا من تحقيق طموحاتنا واستثمار أقصى إمكاناتنا وقدراتنا.

والثاني: هو أنني كنت على معرفة تامة بواقع التعليم الخاص في الوزارة، وكنت أدرك أنه يحتاج إلى تغيير جوهري في فلسفاته وسياساته وتوجهاته، وتطوير حقيقي لأنظمته ولوائحه وأطره وقواعده التي تحكم عمله، وجهد كبير لإيجاد الخطط والأدوات والإستراتيجيات التي تضمن - بإذن الله تعالى - تفعيل دوره.

ثم قلت له: إنني صاحب رسالة، ولست بصاحب منصب.

قال: ومن أجل ذلك اخترتك للقيام بهذه المهمة.

ووعدني بأنه سوف يوفر الدعم اللازم للتربية الخاصة، لتمكيني من أداء رسالتي.

ومـا زلت أتذكر بعض العبارات التي استخدمهـا لإقناعي بقبول الفكرة، كان منها: «إنـك الآن أمام خياريـن: إما أن تقبل بهذه الفكرة، فتنتقل من مرحلة التنظير في مجال التربيـة الخاصة إلى مرحلـة التطبيق، وإما أن تظل في الجامعـة تنظر وتنتظر من يأتي لتطبيق أفكارك ونظرياتك».

وأردف يقول: «إن صاحب الرسالة لا بد أن يكون قد نذر نفسه ووقته وجهده لخدمة الفئـة المستهدفـة بهذه الرسالـة، وأرى أن الفرصة المتاحة لـك الآن تمكنك من خدمة وطنك من خلال العناية بفئة غالية على قلوبنا جميعاً».

فدفعني حبي لقيادتي ووطني والفئات الخاصة إلى استثمار الفرصة المتاحة أمامي، فالفرص قد تأتي ولا تعود، وتغليب المصلحة العامـة على المصلحة الخاصة أمر حتمي إذا ما أردنا أن نسهم في خدمة وطننا.

وأذكر أن أهم عملين قمت بهما في أيامي الأولى في الوزارة هما:

١ - تغييـر مسمـى الأمانة العامـة للتعليم الخاص إلى الأمانة العامـة للتربية الخاصة، وذلك لاقتناعي التام بشمولية مفهوم التربية، خصوصاً أن مصادر التعليم والتعلم قـد تعـددت في ظل الثـورة المعلوماتية التـي يشهدها عصرنـا الحاضر، ومفهوم الشموليـة هذا يصدق أكثر في حق الفئات الخاصة التي تحتاج إلى أساليب تربوية لا تمكنها من النجاح في المدرسة فحسب، وإنما في الحياة بشكل عام.

٢ - وضع إستراتيجية للتربية الخاصة ترتكز على عشرة محاور، نص المحور الأول منها علـى تفعيل دور المدارس العادية في مجال تربية وتعليـم الأطفال غير العاديين، وهـو ما يُعرف بالدمج التربوي، ونص محور آخر من هذه الإستراتيجية على تنمية الكوادر البشرية في جهاز الوزارة وفي الميدان التربوي.

وهـذه الإستراتيجية موثقة فـي كتابي الذي صدر في سنة ١٤١٩هـ بعنوان: «مسيرة التربيـة الخاصة في وزارة المعارف في ظلال الذكـرى المئوية لتأسيس المملكة العربية

السعودية»، وكذلك في كتابي الثاني المعنون: «مسيرة التربية الخاصة في المملكة العربية السعودية: من العزل إلى الدمج» الذي صدر في سنة ١٤٢٩هـ.

ونظراً لما لأسلوب الدمج التربوي من فاعلية تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية، فقد أحدث نقلة هائلة في مجال تربية وتعليم التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.

فمن حيث النمو الكمي ارتفع عدد معاهد وبرامج التربية الخاصة من (٦٦) معهداً وبرنامجاً للبنين والبنات في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ إلى (٣٢٣٩) معهداً وبرنامجاً للبنين والبنات في العام الدراسي ١٤٢٧/ ١٤٢٨هـ، كما ارتفع عدد طلاب هذه المعاهد والبرامج من (٧٧٢٥) طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ إلى (٦١٩٨٦) طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٤٢٧/ ١٤٢٨هـ.

أما التطور النوعي، فيتمثل فيما يلي:

١- جاءت الزيادة المشار إليها آنفاً في عدد المعاهد والبرامج لصالح البرامج المستحدثة في مدارس التعليم العام على حساب المعاهد، إذ كان عدد المعاهد في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ (٥٤) معهداً للبنين والبنات، وكان عدد البرامج في ذلك العام (١٢) برنامجاً للبنين، بينما أصبح عدد المعاهد في العام الدراسي ١٤٢٧/ ١٤٢٨ هـ (٦٨) معهداً للبنين والبنات، وأصبح عدد البرامج (٣١٧١) برنامجاً للبنين والبنات، وحتى الزيادة الضئيلة في عدد المعاهد تعود إلى تحول بعض المعاهد ذات المراحل المتعددة إلى أكثر من معهد بالنسبة للبنين، أو افتتاح معاهد جديدة للبنات.

ونتيجة لذلك أصبحت أعداد التلاميذ الملتحقين ببرامج التربية الخاصة في المدارس العادية تفوق كثيراً أعداد أقرانهم الملتحقين بالمعاهد والبرامج التابعة لها، حيث شكل التلاميذ ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة المدموجون في المدارس العادية في العام الدراسي ١٤٢٧/ ١٤٢٨ هـ نسبة (٩٣٪) من إجمالي تلاميذ التربية الخاصة، وشكلت نسبة التلميذات ذوات الاحتياجات التربوية الخاصة المدموجات في المدارس العادية (٧٣٪) من إجمالي تلميذات التربية الخاصة.

٢- لم تعد التربية الخاصة تتركز في المدن ذات الكثافة السكانية فحسب، وإنما أخذت تتسع ببرامجها لتشمل المدن الأقل كثافة، بل وحتى القرى والأرياف في مملكتنا مترامية الأطراف.

٣- لم تعد التربية الخاصة مقصورة على فئات المعوقين التقليدية المعروفة، وهي: المكفوفون، والصم، والمتخلفون عقلياً، بل امتدت لتشمل فئات أخرى كثيرة مثل: الموهوبين والمتفوقين، وضعاف البصر، وضعاف السمع، وذوي صعوبات التعلم، والمعوقين جسمياً وحركياً، والتوحديين، ومتعددي العوق، وغير ذلك من الفئات التي تندرج في نطاق المفهوم الشامل الحديث للتربية الخاصة.

٤- تعددت أنماط تقديم خدمات التربية الخاصة في المملكة، فقد أصبح لدينا معاهد داخلية (Residential Schools)، ومعاهد نهارية (Day Schools)، وفصول خاصة ملحقة بالمدارس العادية (Special Classes or Self-Contained Classes)، وبرامج غرف مصادر (Resource Room Programs)، وبرامج معلم متجول (Itinerant Teacher Programs)، وبرامج معلم مستشار (Teacher-Consultant Programs)، وبرامج متابعة في التربية الخاصة (Follow-up Programs)، مما أدى إلى تلبية احتياجات الأطفال غير العاديين على اختلاف فئاتهم.

٥- أظهرت نتائج الاختبارات التحصيلية في السنوات الماضية تفوق بعض التلاميذ المكفوفين المدموجين على أقرانهم المبصرين في بعض مدارس المملكة.

وقد عمل الدمج التربوي على تمكين التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة من البقاء مع أسرهم في بيئاتهم المحلية، وإخراجهم من عزلتهم التي طالما عانوا منها طويلاً.

وأصبحت تجربة المملكة العربية السعودية في مجال الدمج التربوي رائدة ومعروفة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج باسم: (النموذج السعودي)، وطفقت دول عربية كثيرة تطلب من المملكة الاستفادة من هذه التجربة، وهي - والحمد لله - موثقة

الآن في دراسة بعنوان: «الدراسة الوطنية لتقييم تجربة المملكة العربية السعودية في مجال دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام»، وقد صدرت هذه الدراسة مؤخراً في كتاب عن وزارة التربية والتعليم في المملكة.

• بدايات التوسع في برامج الدمج بمدارس التعليم العام

تم افتتاح أول برنامج لصعوبات التعلم - بشكل مبدئي - في المدرسة الابتدائية بمجمع الملك سعود بالرياض، وكان ذلك في العام الدراسي ١٤١٤/ ١٤١٥ هـ، وكنت وقتها ما زلت أعمل في الجامعة، وأتذكر أنني قمت أنا والصديق الحبيب والزميل العزيز الدكتور إبراهيم بن سعد أبو نيان، وهو عضو هيئة تدريس في قسم التربية الخاصة بجامعة الملك سعود بزيارة لهذه المدرسة، والتقينا مديرها الأستاذ فهد بن عبدالعزيز العقيل، وكان مديراً متميزاً، فعرضنا عليه فكرة البرنامج، وشرحنا له دور غرفة المصادر، وما تحتاجه من مستلزمات مكانية وتجهيزية وبشرية، فرحب بالفكرة، بل تحمس لها كثيراً، وقدم كل ما يملك من دعم للبرنامج، برغم أنه لم يكن يحصل على أي حوافز مادية في هذا السبيل.

بعد أن تم تطبيق إستراتيجية التربية الخاصة ذات المحاور العشرة تم تطوير هذا البرنامج ليصبح من أكبر برامج صعوبات التعلم في المملكة.

وفي العام الدراسي ١٤١٩/ ١٤٢٠ هـ تم افتتاح برنامج للمكفوفين، فأصبح في هذه المدرسة برنامجان: أحدهما للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، والآخر للتلاميذ المكفوفين.

وأتذكر أنه في العام الأول لافتتاح برنامج المكفوفين في هذه المدرسة استوقفني أحد الزملاء من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، وأنا خارج من مسجد السكن بالجامعة، حيث كنت ما زلت أسكن هناك رغم إعارتي للوزارة، فقال لي، وكان في حالة غضب واستياء: «أظن أنك ظالم لنفسك، وظالم للفئات الخاصة بدمجهم في مدارس التعليم العام».

فقلت له: وما ذاك؟!

قال: إنني كنت صباح هذا اليوم في مجمع الملك سعود، فرأيت منظراً أزعجني كثيراً، لقد رأيت طالباً كفيفاً يخرج من الصف مسرعاً، ورأيت التلاميذ المبصرين يتبعونه ليتجمعوا بعد ذلك حوله.

قلت له: وهل اقتربت منهم لتعرف ما يجري؟

قال: لا، لكنني أظن أنهم اتبعوه ليضربوه، أو ليهزؤوا به، أو ليسخروا منه.

قلت: نزور المدرسة غداً، ونقف على ما يجري.

فذهبنا بالفعل، والتقينا مدير المدرسة، وانتظرنا في غرفة الإدارة، وحين بدأت الفسحة خرج الطالب الكفيف وقائده يهرولان، والطلاب المبصرون يتبعونهما حتى وصلوا إلى المكان الذي يتجمعون فيه كل صباح، فانطلقنا أنا وصاحبي ومدير المدرسة لنتعرف على ما يحدث، فوجدنا (بلالاً)، وهو طالب يعاني من إعاقتين: إحداهما كف البصر، والأخرى صعوبة التعلم يقص على زملائه القصص، ويحكي لهم الحكايات، وهم متحلقون من حوله مزهوون مبتهجون بما يسمعون، فأدركنا أن الله الذي ابتلى (بلالاً) بالإعاقتين قد أنعم عليه بنعمة عظيمة، وهي موهبة سرد الحكايات، فهو (حكواتي المدرسة).

وفي نفس العام الدراسي هاتفني أحد أبنائي من التلاميذ المكفوفين في مدرسة طارق بن زياد بجازان، وراح في شغف يحدثني عن نجاحاته وإنجازاته في المدرسة، ثم قال: لكنني أعاني من مشكلة وحيدة، فقلت له: وما هي يا محمد؟!

قال: إنه ذلك الطالب الكفيف الذي يدرس معي في نفس الصف، فقلت له: وما شأنه؟ قال: إنه هو الطالب الوحيد الذي ينافسني بقوة على المركز الأول في الصف، فقلت له: وماذا عن زملائك المبصرين؟

فأجاب: «هؤلاء لا يهمونني، فكلهم على جنب».

وفـي صبـاح يوم جميل زرت إحـدى المدارس التي يوجد بها برنامـج تربية فكرية، فأثلج صـدري، وسرَّ خاطري، وأبهج نفسي أحد أبنائي الأعزاء من ذوي الإعاقة العقلية، عندمـا ألقـى كلمة جميلة في الطابور الصباحي عبر فيها عـن مشاعره ومشاعر زملائه بدمجهم مع أقرانهم في المدارس العادية.

وبعـد أن أنهـى كلمته صفق له زمـلاؤه وأساتذته بحرارة، برغـم أنه كان يعاني من صعوبات شديدة في النطق، وأفادوني بأنه موهوب في الرسم كذلك.

ووقفـت على كثير من المدارس التي تطبق برامج الدمج للمعوقين سمعياً، فأفادني الزملاء في هذه المدارس بأن بعض الطلاب الصم يتفوقون على أقرانهم السامعين في بعض الألعاب الرياضية واستخدامات الحاسب الآلي.

وكثيراً ما ينبهر منسوبو المدارس العادية من إداريين ومعلمين وتلاميذ من القدرات والمواهـب التـي يتمتع بها بعض أبنائنـا من التلاميذ ذوي صعوبـات التعلم، أو التلاميذ ذوي التوحد، أو التلاميذ ذوي العوق المتعدد، أو غيرهم من الفئات الخاصة الأخرى.

وقـد أسهمـت جائزة الشيخ محمد بن صالح بن سلطـان للتفوق العلمي والإبداع في التربيـة الخاصـة - مؤخراً - فـي إبراز هذه المواهـب والقدرات، فسبحـان الذي يأخذ ويعوض، ويهب ويسلب، وينعم ويحرم، وهو العليم الحكيم.

وبشكل عام، أتذكر أننا في البدايات واجهنا صعوبات جمة في إقنـاع مدارس التعليم العـام باستحـداث برامج دمج للفئات الخاصة على اختلافهـا، غير أن الحوافز المادية والمعنويـة التـي تقدمهـا الدولة - رعاهـا الله - للذيـن تنطبق عليهم ضوابـط التربية الخاصـة من الجهازين الإداري والتدريسي في المدرسة جعلـت المدارس تتنافس كثيراً على افتتاح برامج الدمج.

وهـذا الدعـم الذي يحظى به المعنيون في المدارس التـي تطبق هذه البرامج يأتي انسجامـاً مع نتائج الأبحـاث وخلاصة التجـارب والخبرات التي تؤكـد أن نجاح برنامج الدمج مرهون بالاتجاهات الإيجابية لدى منسوبي المدرسة.

حتى النشاط اللاصفي الذي يعد من أهم الوسائل التي تعمل على تفعيل دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام لم تتم الاستفادة منه بشكل جيد في البدايات، فقد كنا نعاني كثيراً من تردد إدارات التعليم في إشراك ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في أوجه النشاط المدرسي العام، وكان بعض هذه الإدارات يصر على ضرورة إقامة نشاط متعدد منفصل خاص بهذه الفئات، كما كان يحدث في الماضي، بيد أنه سرعان ما اتضح لهذه الإدارات أن إشراك هذه الفئات في النشاط العام يضيف بُعداً جديداً، ويقدم إضافة مختلفة تشد انتباه الجمهور، وتثير إعجابه.

وأذكر أنه في الدورة الرياضية المدرسية الأولى التي نظمت في مدينة جدة سنة ١٤١٩هـ برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيزعندما كان ولياً للعهد، عمد منسوبو إدارة التعليم في جدة، وعلى رأسهم معالي الدكتور خضر ابن عليان القرشي، نائب وزير التربية والتعليم لشؤون تعليم البنات سابقاً، ومدير التعليم آنذاك في جدة إلى تخصيص فقرة لذوي الاحتياجات التربوية الخاصة ضمن فعاليات برنامج افتتاح هذه الدورة، وكانت هذه الفقرة عبارة عن كلمة ألقاها أحد التلاميذ المكفوفين بطريقة برايل، وعبر عنها أحد التلاميذ الصم بلغة الإشارة، فصفق لهما الحاضرون طويلاً بكل الإعجاب والاندهاش.

وحظي التلميذان بشرف السلام على راعي الحفل الذي أغدق عليهما كعادته -يحفظه الله- في مثل هذه المواقف كل المحبة والمودة والحنان.

وما زال قادة العمل التربوي يتذكرون الأثر العميق الذي تركته هذه المشاركة ومثيلاتها على الجماهير الغفيرة التي تشارك في فعاليات النشاط المدرسي.

مبنى الأمانة العامة للتربية الخاصة

- كان مقر الأمانة العامة للتعليم الخاص بالوزارة عبارة عن غرفتين وصالة، ولذلك عندما باشرت عملي في الوزارة في ١/١/ ١٤١٧ هـ، كنت أتنقل بين الغرفتين والصالة حتى تم تجهيز مكتب خاص بي.

وأذكر أنه بتوجيه من معالي الوزير بذل الأستاذ محمد بن حمد النوح، وكان وقتها يشغل منصب مدير عام الشؤون المالية والإدارية بالوزارة جهداً كبيراً في تجهيز ذلك المكتب، وباشرت العمل فيه خلال الأسبوع الثاني من عملي في الوزارة، غير أن الأعداد الكبيرة التي تم استقطابها للعمل في مجال التربية الخاصة إنفاذاً لخطة العمل التي اقتضتها إستراتيجية التربية الخاصة ذات المحاور العشرة جعلت هذا الحيز الضيق يعجز عن استيعاب الملتحقين بالتربية الخاصة، فعرضت الأمر على معالي الوزير، فقال: وماذا ترى؟

قلت: تنتقل الأمانة العامة للتربية الخاصة إلى مبنى المكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين سابقاً، الذي صدر قرار مجلس الوزراء بإلحاقه بوزارة المعارف، وقد تم تشييد المبنى على أرض ممنوحة من الدولة تقدر مساحتها بحوالي ٧٠٠٠ متر.

وفي صيف عام ١٤١٧هـ انتقلت الأمانة العامة للتربية الخاصة بكامل إداراتها وموظفيها إلى هذا المبنى، واتخذته مقراً دائماً لها.

وانضم منسوبو المكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين سابقاً إلى منسوبي الأمانة العامة للتربية الخاصة بالوزارة، وسادت في هذا المبنى روح المحبة والمودة والإخاء، ومبدأ التعاون والتآزر والتآخي، وأصبح الجميع يعملون بروح الفريق الواحد، وطفق الزملاء يتنافسون في التفاني والإخلاص في العمل، وأصبحت الأمانة العامة للتربية الخاصة تعج بالنشاط في الحقبتين الصباحية والمسائية، فكنا في الحقبة الصباحية نزاول أعمالنا الرسمية، وهي واجبات نؤديها بأجر، أما الحقبة المسائية فقد

خصصناها لاجتماعات الأسرة الوطنية للتربية الخاصة، وكذلك اجتماعات المجموعات الاستشارية التخصصية، وعددها عشر مجموعات تشمل جميع تخصصات الإعاقة المختلفة، وتتكون كل مجموعة من رئيس وعشرة أعضاء هم من المشرفين التربويين والمعلمين وأولياء الأمور، وكان الجميع في هذه المجموعات يعملون بشكل تطوعي ما عدا رؤساء المجموعات الذين تم استقطابهم من أعضاء هيئة التدريس بقسم التربية الخاصة في جامعة الملك سعود ليعملوا في الوزارة مستشارين غير متفرغين.

وكانت المهمة الرئيسة لهذه المجموعات هي إعداد الخطط، ووضع الإستراتيجيات، وتصميم التصورات التي يتم عرضها - عادة - على مجلس الأمانة العامة للتربية الخاصة الذي كان يعقد أسبوعياً في تمام الساعة الثامنة من صباح كل أحد، وكان هذا المجلس يتكون من: المشرف العام على التربية الخاصة.. رئيساً، وأمين عام التربية الخاصة، ومديري الإدارات في الأمانة.. أعضاء.

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٤٢١ هـ، وفي صباح يوم باكر من أيام ذلك الشهر هاتفني أبو أحمد، وقال لي: إن عليكم أن تبحثوا عن مبنى آخر ليكون مقراً للأمانة العامة للتربية الخاصة.

فقلت له: ما الخبر يا أبا أحمد؟!

فأفادني بأنه تلقى خطاباً كريماً من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض يأمر فيه بإخلاء المبنى لصالح شرطة حي السفارات، وأضاف يقول: وقد استشرت بعض الزملاء في الوزارة، فرأوا ضرورة البحث عن مبنى جديد للتربية الخاصة.

فقلت له: نعرض الأمر على سمو الأمير فتردد قليلاً، ثم وافق.

توجه معالي الوزير وأنا بصحبته لزيارة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض تدفعنا معرفتنا التامة بأن جميع الذين يعرفون سلمان

ابن عبد العزيز الإنسان يجمعون على أنه رجل موهوب آتاه الله الحكمة، والذكاء، والعمق في التفكير، وبُعد النظر، والفطنة، وسرعة البديهة، والقدرة على العزم والحسم في المواقف المهمة، وغير ذلك من الصفات القيادية، كما أن الله – سبحانه وتعالى– قد منَّ على هذا الأمير الإنسان بالعلم الغزير، والحلم الوفير، والأدب الكثير، والتواضع الجم، والخُلق الرفيع، والتعامل الراقي، وغير ذلك من السجايا الحميدة.

دخلنا على سموه في مكتبه، فرحب بنا، وقال: «حيا الله أهل المجمعة»، قلنا: «بل حيا الله أهل وزارة المعارف»، فضحك – يحفظه الله – وأجلسنا، فأشار إليه معالي وزير المعارف بأن لدي كلمة أرغب في التشرف بإلقائها بين يدي سموه الكريم، فأذن لي بذلك، وأشار إلي بعدم الإطالة، فشرعت في إلقاء كلمتي، وهي كلمة مكتوبة بطريقة برايل.

وقد حرص معالي الوزير وأنا أن تكون الكلمة مكتوبة رغبة منا في عرض الأفكار على النظر الكريم بشكل دقيق ينسجم والخصائص والصفات التي يتمتع بها سموه الكريم – يحفظه الله –.

تحدثت في هذه الكلمة عن تاريخ المبنى، وإسهام الدولة – يحفظها الله – في إنشائه، وأنه تم تصميمه خصيصاً للمكفوفين، وأنه يشتمل على بعض الأجهزة والأدوات التي تم تثبيتها في أرضية المبنى، ويصعب نقلها إلى مبنى آخر، فقال لي سموه: «إن كان لديكم وثائق تثبت هذا الكلام الذي قلته، فالمبنى مبناكم، وإن لم يكن كذلك، فعليكم أن تخلوا المبنى بأسرع وقت ممكن».

فقلنا: نعم لدينا ما يثبت هذا، وقدمنا لسموه الكريم ملفاً متكاملاً يشتمل على التقارير والقرارات الخاصة بهذا المبنى.

وفي ظهيرة ذلك اليوم اتصل – يحفظه الله – هاتفياً بمعالي وزير المعارف، وقال له: «علمكم غانم» وأبلغه أنه بإمكان الأمانة العامة للتربية الخاصة أن تبقى في هذا المبنى، وأنه قد عمَّد شرطة حي السفارات بالبحث عن مبنى آخر.

وفـي صبيحـة اليوم اللاحق أرسل - يحفظه الله - خطابـاً توثيقياً بهذا المعنى إلى معالـي وزير المعارف الذي أرسل بدوره خطـاب شكر وتقدير إلى سموه الكريم على هذا الموقف الإنساني النبيل، وظلت الأمانة العامة للتربية الخاصة في مقرها الدائم في حي السفارات حتى وقتنا الحاضر.

• اجتماعات ولقاءات الوزارة

كان يتصـدر اللقاءات والاجتماعات التربوية جميعـاً اللقاء الأهم، اللقاء الذي كان قـادة العمـل التربوي في المملكـة يترقبونه في - كل عـام - بشغف شديـد وشوق أكيد، إنـه لقاء منسوبي التعليم بولاة الأمر - يحفظهـم الله - في بلادنا الحبيبة، فقد تشرفنا - عـدة مـرات - بالسـلام على خـادم الحرمين الشريفيـن الملك فهد بـن عبد العزيز - يرحمـه الله - وخـادم الحرميـن الشريفيـن الملـك عبـد الله بـن عبـد العزيـز - يحفظـه الله -، عندمـا كان ولياً للعهد، وصاحب السمـو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيـز، ولـي العهد، نائب رئيس مجلس الـوزراء، وزير الدفاع والطيـران والمفتش العام، الرئيسـ الأعلى لمؤسسـة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيريـة - آنذاك رحمه الله - عندما كان نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، وصاحب السـمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ولي العهد وزير الداخلية - سلمه الله - وعدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء.

وأنـا على يقين تام بأن جميع الذين حظوا بهـذا الشرف العظيم سيظلون يتذكرون بـكل الفخر والاعتزاز الأحاسيس والمشاعر والخواطر التي كانت تنتابنا قبل اللقاء، وفي أثناء اللقاء، وبعد اللقاء.

فأمـا قبل اللقاء، فكنا نستشعـر أهمية الموقف، ونعد له عدته، ونحرص على انتقاء العبارات والمرئيات التي من خلالها نعرض الهم التربوي على الأنظار الكريمة، وأما في أثنـاء اللقاء، فقد كنا نعيش نشـوة الحدث، ونحيا طيب الأجواء، وننعـم بسمو الإنسان، وعبـق المـكان، ورائحـة الزمـان، فقادتنـا - يحفظهـم الله - يغمرون كل مـن يتشرف بزيارتهم بحسن الاستقبال، ونبل الكرم، ورقي التعامل، وكريم الرعاية، وفوق هذا وذاك

التوجيهـات السديـدة، والتعليمـات المفيدة، وبعد اللقـاء نخرج بقلـوب مفعمة بالمحبة والمـودة، والاحترام والتقدير، والاعتزاز والافتخار، ومشاعر تعجز عن وصفها الكلمات، غير أن لسان حالنا يقول دائماً إن الله - سبحانه وتعالى - قد استجاب لدعاء المسلمين، وهـم يرددون: «اللهم ولي علينا خيارنا»، فقـد اختصنا ربنا - جل وعلا - بقيادة حكيمة واعية رشيدة نذرت نفسها ووقتها وجهدها في سبيل خدمة وطنها ومواطنيها.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل بكل الفخر والاعتزاز مشاعر الغبطة والسعادة والمسـرة التـي يشعر بها قادتنـا - يحفظهم الله -، عندما نهدي لهـم نسخاً من القرآن الكريـم المطبوع بطريقة برايـل، باعتبار ذلك خدمة لأقدس كتـاب على وجه البسيطة، وسرعان ما تتم ترجمة هذه المشاعر النبيلة إلى دعم غير محدود لمطابع خادم الحرمين الشريفين لطباعة القرآن الكريم بطريقة برايل.

وبالإضافـة إلـى الاجتماعات واللقـاءات التي كانـت تعقد بغرض دراسـة ومناقشة موضوعـات محـددة، كانت الوزارة تعقـد اجتماعات ولقاءات دوريـة دائمة، فكان هنـاك الاجتمـاع الأسبوعي، وهو اجتماع يعقد في تمـام الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء، وهــو ينعقـد برئاسة معالــي الوزير، وعضوية معالــي نائبه لشؤون تعليـم البنات، ووكلاء الوزارة ومن في حكمهم، بالإضافة إلى مدير تعليم الرياض.

وكان هنـاك الاجتماع الشهـري، وهو أيضاً ينعقد في تمـام الساعة الثامنة من صباح يـوم الأربعاء، ويرأس هذا الاجتمـاع معالي الوزير، ويشارك فيه معالـي نائبه لشؤون تعليم البنات، والوكلاء ومن في حكمهم، ومديرو العموم في الوزارة ومن في حكمهم، ومدير تعليم الرياض، وأحياناً يشارك في هذا الاجتماع بعض مديري التعليم في المناطق والمحافظات.

وفـي هذين الاجتماعين كان يتم استعراض المستجدات في كافة قطاعات الوزارة، وكذلـك تبادل الـرؤى والأفكار والتجارب والخبـرات، بالإضافة إلـى تقديم المقترحات والتصـورات والأطروحات، وكانت هنـاك متابعة حاسوبية لتنفيذ القـرارات والتوصيات التي تتخذ في هذين الاجتماعين.

وأذكر أننا كنا نحرص حرصاً شديداً على إبراز دور قطاعاتنا وأهميتها في الوزارة، كما أذكر أننا كنا نتسابق على الحضور مبكرين للوزارة قبل انعقاد الاجتماع، لنتمكن من عرض المعاملات التي نرغب من معالي الوزير الموافقة عليها أو اعتمادها.

وفي هذا الصدد أتذكر أنني كنت في مداعبة مستمرة مع أخي وصديقي الأستاذ أحمد بن سليمان الأحمد مدير مكتب معالي الوزير، فقد كان يطلب مني أن يتم تقييد المعاملات قبل عرضها على معاليه، حيث كنت أعرضها قبل تقييدها.

كان يخشى أن تضيع المعاملة إذا لم يتم تقييدها، لكنني كنت على ثقة تامة بأنها لن تضيع، لأنني كنت أشرف على متابعتها بنفسي.

وبالإضافة إلى هذين الاجتماعين كان هناك لقاء قادة العمل التربوي، وهو لقاء سنوي تنظمه إحدى إدارات التعليم في بلادنا برعاية كريمة من سمو أمير المنطقة، وكانت إدارات التعليم في مناطق ومحافظات المملكة تتنافس على التنظيم والترتيب لهذا اللقاء، وهو لقاء له جانبان: جانب علمي تقدم فيه الأبحاث والدراسات وأوراق العمل، وجانب إجرائي تناقش فيه الأمور والقضايا الإدارية والمالية وغيرها.

وأذكر أننا كنا نتوق كثيراً إلى المشاركة في هذا اللقاء، فبالإضافة إلى الإثراء العلمي والفكري، والتواصل الاجتماعي، والتعميق في النهج الإجرائي، كنا نتعرف عن قرب على زملائنا قادة العمل التربوي في جزء غال من بلادنا الحبيبة.

وكنت أبذل جهداً كبيراً في الحصول على أوراق العمل والأبحاث والدراسات قبل انعقاد اللقاء بوقت كاف حتى أتمكن من قراءتها قراءة متأنية، وكنت أحياناً أحفظ عن ظهر قلب أرقام الصفحات، وأرقام الأسطر، بل وحتى العبارات.

وكنت أحرص حرصاً شديداً على إبلاغ رئيس الجلسة برغبتي في المداخلة في جلسته قبل انعقادها بيوم أو يومين، وما ذاك إلا لوجود رغبة أكيدة لدى جميع المشاركين في اللقاء في المداخلات والاستفسارات والتعليقات والتعقيبات، حيث كانت تسود في هذا اللقاء

روح النشـاط والحيوية والحماس والرغبة الصادقـة في إثراء اللقاء الذي كان يشارك فيه منسوبـو الوزارة، وعلى رأسهم معالي الوزير، ومعالي نائبه لشؤون تعليم البنات، والوكلاء، ومديرو العموم، وكذلك منسوبو إدارات التعليم، بالإضافة إلى بعض العلماء والخبراء.

والشـيء العجيـب أن كلاً منا - بعد هذه الاجتماعـات واللقاءات - كان يظن أنه هو الأقـرب إلـى قلب أبي أحمد، وأن قطاعه هو الأول في سلـم أولوياته لما كنا نجد منه من دعم ومؤازرة ومساندة وتشجيع وتحفيز.

• المؤتمرات

حرصـاً من الـوزارة على إبراز دور المملكـة في المحافل الدوليـة والإقليمية كانت تشجـع على المشاركـة في المؤتمرات والملتقيات والندوات التـي تخص الشأن التربوي، وسوف أكتفي بالإشارة إلى بعض ذكرياتي في مؤتمرات ثلاثة فقط:

- المؤتمر الأول:

هـو المؤتمـر العام لليونسكو الـذي عقد في سنـة ١٩٩٧ م في العاصمـة الفرنسية باريس.

ومـن الذكريات التي أعتـز بها كثيراً في هذا المؤتمر المداخـلات والتعليقات التي أسهمت بها، والأهم من ذلك أن زملائي أعضاء الوفد السعودي قد شرفوني بإلقاء كلمة المملكـة في جلسة تم تخصيصها للحديث عن: «التعليـم للجميع مدى الحياة»، وانصب التركيز فيها على تربية وتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.

فـكان ممثلو الدول يتعاقبون على المنبر يتحدثون عن الإنجازات التي تحققت لذوي الاحتياجـات التربوية الخاصة في بلدانهـم، ثم ألقيت كلمة المملكة، وكان مما قلته: «إنه يكفـي بلادي فخـراً أنني أنا المعـوق الوحيد في هـذا الحشد الكبير من صفـوة العلماء والخبـراء في العالم، فصفق الحاضـرون طويلاً، ليس إعجاباً بـي بطبيعة الحال، وإنما إعجاب بالمملكة العربية السعودية التي هيأت لي ولأمثالي كل أسباب النجاح والتفوق».

- المؤتمر الثاني:

هـو المؤتمـر القومـي الثامن: «معـاً على طريق الدمـج الشامل لـذوي الاحتياجات الخاصـة في الوطن العربي» الذي نظمه اتحاد هيئـات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين بجمهوريـة مصر العربيـة، والذي عقد في سنة ٢٠٠٢ م بالقاهـرة، وقد شاركت في هذا المؤتمـر بتقديم ورقة عمل عن تجربة المملكة العربية السعودية في مجال دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام.

وفـي أثناء المناقشة طلب الكلمة الأستاذ الدكتور عبد المنعم نور، وهو رجل فاضل كريم، ورائد من رواد العمل في مجال رعاية الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة بمصر، فقد عمـل مديراً للمركز النموذجـي لرعاية وتوجيه المكفوفيـن بالقاهرة، كما عمل في كلية الآداب بجامعة الملك سعود حقبة من الزمن، ثم عاد مرة أخرى إلى المركز، وكانت قـد تقدمـت به السـن، إلا أنه كان - يرحمـه الله - يصر على المشاركة فـي المؤتمرات والفعاليات الخاصة بالإعاقة والمعوقين.

سألني الأستاذ الدكتور نور السؤال الآتي:

دكتور الموسى: هل استشرتم مصر عند تطبيق هذه التجربة؟!

فابتسمـت، وأشـدت بدور الدكتور نـور البارز في خدمـة ذوي الاحتياجات الخاصة عامـة، والمكفوفين على وجه الخصوص، كما أشـدت بدور مصر الفاعل في دفع مسيرة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ودول الخليج، خاصة في أيامها الأولى.

ثم قلت: لكن دول الخليج، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بما منَّ الله عليها من ثروات استثمرت كثيراً في الإنسان باعتباره الثروة الحقيقية، وابتعثت مجموعة كبيرة مـن مواطنيها للدراسـة في الخارج، وعـادوا مسلحين بسلاح العلـم والمعرفة، وأحدثوا بدعم قياداتهم نقلة كمية ونوعية كبيرة في مجال تـربية وتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصـة، ونحن في هـذا الإطار نرد الجميل إلى الشقيقة مصر من خلال إهدائكم هذه

التجربة، التي نأمل أن تستفيدوا منها، فاستحسن الحاضرون هذا الكلام، وأبدوا رغبتهم الأكيدة في الاستفادة من تجربة المملكة العربية السعودية في مجال الدمج التربوي.

- المؤتمر الثالث:

هو المؤتمر الأول لإدارة مدارس التربية الخاصة بعنوان: «الدمج: مراجعة للإنجازات وتخطيط للمستقبل» الذي نظمته الإدارة العامة للتربية الخاصة بوزارة التربية والتعليم في دولة الكويت الشقيقة في سنة ٢٠٠٢ م.

وهذا المؤتمر لا يختلف كثيراً عن مؤتمرات التربية الخاصة التي عقدت في كثير من الدول العربية، وعرضت فيها المملكة تجربتها في مجال الدمج التربوي، إلا بشيء واحد فقط هو الذكرى العطرة التي ما زالت تعيش في قلبي للصديق الحبيب والزميل العزيز الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن الدريس يرحمه الله.

كان الدكتور الدريس في ذلك الوقت يعمل وكيلاً مساعداً للتعليم الموازي بوزارة المعارف، وهذا يعني أنه كان رئيسي المباشر في العمل، حيث كانت هذه الوكالة المساعدة تضم التربية الخاصة، بالإضافة إلى قطاعات أخرى.

وأنا على يقين أن أبا عبد الرحمن - يرحمه الله - قد ترك ذكرى طيبة في قلوب جميع زملائه وأصدقائه، لكن ذكريات السفر لها طعم خاص، وذكريات المؤتمرات لها عندي خصوصية أكبر.

كان الدكتور الدريس دقيقاً في كل شأنه، أذكر أننا عندما وصلنا إلى الفندق في الكويت، وحصلنا على بطاقات التعريف الخاصة بالمؤتمر، وجد اسمه مكتوباً (الإدريسي) فقال: لا بد أن يُعدَّل اسمي، فقلت له مداعباً: لعل المنظمين للمؤتمر ظنوا أنك تنتمي إلى العالم الجليل الإدريسي، فقال: أقول لا بد من تعديل الاسم، وتم له ذلك.

وكان - يرحمه الله - يسعد كثيراً بالمداخلات والتعقيبات والتعليقات التي أسهمت بها في المؤتمر، وتبلغ سعادته ذروتها عندما يشيد المشاركون بتجربة المملكة العربية

السعودية في مجال دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام، ويطالبون بتطبيق هذه التجربة في دولة الكويت.

كان – يرحمه الله – يصر على أن نؤدي الصلاة جماعة في المسجد، برغم أن المسجد لم يكن قريباً من الفندق الذي كنا نسكن فيه، وكان حريصاً على انتقاء غذائه، إذ كان لديه إلمام بالغذاء والتغذية، وقد حدثني كثيراً في هذه الرحلة عن الأغذية المفيدة، وتلك التي لا تفيد.

رحم الله أبا عبد الرحمن رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

وفي عبق ذكريات هذا المؤتمر لا بد أن أذكر بالتقدير والاحترام ذلك الجهد المميز الذي بذلته الأستاذة سعاد إبراهيم الفارس مدير عام التربية الخاصة في وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت سابقاً وزملاؤها وزميلاتها في الإعداد والترتيب لهذا المؤتمر.

والأستاذة سعاد من الكفاءات التربوية الخليجية التي نعتز ونفتخر بها كثيراً نحن العاملين في مجال التربية الخاصة، وقد تركت بصمة واضحة على مسيرة تربية وتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في دولة الكويت.

- **الزيارات**

كانت الوزارة تعج بالنشاط المبدع، وظهر فيها مشروعات عملاقة تطلبت القيام بزيارات إلى الدول المتقدمة للاستفادة من تجاربها وخبراتها، وقد أنيطت مهمة هذه الزيارات بالمعنيين بهذه المشروعات في كافة قطاعات الوزارة، وسوف أكتفي هنا بذكر زيارة واحدة فقط قمت بها سنة ١٩٩٩م إلى السويد والدانمارك بصحبة تسعة من الزملاء الأعزاء في التربية الخاصة، فيهم المشرفون التربويون والمعلمون والإداريون.

وما زلت أتذكر جيداً الجدية التامة التي تعاملنا من خلالها مع هذه الزيارة، فقد أعددنا قبل سفرنا خطة عمل متكاملة لكيفية الاستفادة منها، فكان برنامج عملنا اليومي يبدأ في الصباح مع بداية الدوام الرسمي في هاتين الدولتين، فنقوم بجولات ميدانية

في المدارس والهيئات والمؤسسات والجمعيات التي تعنى بذوي الاحتياجات التربوية الخاصة، وكنت في الغالب أقوم بالترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، حيث كان معظم أعضاء الوفد لا يجيد اللغة الإنجليزية بالشكل الذي يمكنهم من استيعاب كل ما يدور من حوارات ونقاشات، ولا نعود إلى مقر إقامتنا إلا بعد انتهاء الدوام الرسمي.

أما الأحقاب المسائية، فقد حولناها إلى ورش عمل نتناول من خلالها الملاحظات والمرئيات والتجارب والخبرات التي دوناها في أثناء الزيارات الميدانية بالمناقشة والتحليل والتعليل والتفسير والتبرير، ثم نكتب خلاصة كل ورشة في مذكرات تمت بلورتها - فيما بعد - في تقرير نهائي يعد الآن مرجعاً لمن أراد أن يتعرف على خبرات وتجارب السويد والدنمارك في مجال التربية الخاصة.

ومن الأشياء الطريفة في هذه الزيارة أن سائق الحافلة التي كنا نستقلها في أثناء جولاتنا في السويد، وهو من أصل إفريقي يعيش في السويد كان يطرب كثيراً جداً للضحكات التي كان يطلقها زميلنا العزيز الدكتور عبد الرحمن نور الدين كلينتن الذي كان يعمل وقتها في الإدارة العامة لرعاية الموهوبين بالوزارة، فكان هذا السائق يقول لي: «أنا أحب هذه الضحكات، وأتمنى أن يضحك الناس مثل هذا الرجل، يظهر أنه أسعد إنسان في الدنيا».

وفي الختام: أود أن أؤكد للقارئ العزيز أن ما كتبته هنا لا يعبر - بأي حال من الأحوال - عن عديد النشاط، وما ارتبط بها من ذكريات وفيرة زخر بها بحر زمني مياهه غزيرة، فهو (أي ما كتبته) عبارة عن غيض من فيض، وزهرة من بستان، وقطرة من بحر، وما سطرته هنا من خواطر لا يعدو كونه مشاركة متواضعة مني لزملاء ورفقاء الدرب الذي مشيناه في مشوارنا معاً امتثالاً لأمر ربنا، ثم إنفاذاً لتعليمات حكومتنا، وتقديراً وإجلالاً لقيادتنا، واعتزازاً وافتخاراً بوطننا، وخدمة لأفراد مجتمعنا، وتجسيداً لأخلاقيات مهنتنا.